والعقليّة يمكن حدوثها من مجرد حركتها الميكانيكية بدون توسط نفس نباتية او حيوانية او مبدإ آخر من مبادىء الحياة . فبلع هذا الجمل الكبير وغصّ بابرة صغيرة وهي فرض الجوهر الفرد ولكن لا ينكر انهُ بنى في صروح المعارف دعائم كبيرة وقدح زناد ذهنهِ فانار ظلمات العقول من اوجه كثيرة

وتاريخ المعارف من ايام دكارت الى الآن مفعم بالاكتشافات والتحقيقات العلميّة حتى لو اردنا ان نتبع سير علم واحد من هذه العلوم مثل الطبيعيات او الفلك او الجيولوجيا او البيولوجيا ونذكر ما جدّ فيهِ من الاكتشافات لضاقت عن ذلك صفحات المنتطف . وفي الاشارة الى ما كتبناهُ في السنين الماضية والى ما يجدّ كل سنة من الاكتشافات والاختراعات غنًى عن زيادة الاسهاب ومع ذلك كلهِ لم نزل في "فجر المعارف" . ولا نعلم متى تشرق شمسها فتبدّد بقية جيوش الظلام وتحرر العقل من نير الاستعباد للاهواء حتى يزداد تنويرًا . ولكننا نعلم عن ثقة ان النور يزداد اشراقًا سنة فسنة وظلّ الاوهام يتقلّص على نسبة هندسية . وشمس المعارف اذا اشرقت في بلاد استنارت الدنيا بها

اذا اوقدت نارها في العرا ق اضاء الحجاز سنا نارها

لكثرة العلاقات التي بين الناس وسهولة الاتصال من بلاد الى أخرى ولأن كثيرين من فضلاء هذا الزمان قد وقفوا انفسهم على نشر العلوم في الدنيا ودول الارض العظيمة تتسابق الى عضد المعارف وشدّ ازر اهلها فتسير هذا الفجر نهارًا كاملًا

الوَشم وازالتهُ

من اغرب ما يراهُ الباحث في اخلاق الناس تواطؤهم على عادة من العادات المضرّة او القليلة الجدوى وجريهم عليها في مختلف البلدان وعلى تباعد الازمان كعادة تنقيش البدن وتخطيطهِ بما يُسمّى بالوشم فانها عادة قديمة جدًّا ولم تزل حتى الآن منتشرة في الدنيا بين اكثر الشعوب ولهم فيها مذاهب من حيث شكل الوشم واتساعهُ ممّا لا يزيد عن نقط قليلة تُرسَم على الصدغ الى ما يغطي البدن كلهُ صورًا واشكالًا مختلفة

وطريقة الوشم ان تُجمَع ثلاث ابر او اربع معًا وتُغمَس في حبر اسود او احمر او ازرق ويخس بها الجلد حتى يخالطهُ الحبر . والاحبار المستعملة لذلك هي محلول البارود والحبر الصيني والزنجفر والنيل . واما غيرها من الاحبار النباتيّة الاصل فقلّما يُستعمل واذا أُستُعمِل لم يدُم بل

من مجرد اكلو لبنها وثالثها انباؤهُ بالرعاف بمقدارهِ ووقتهِ قبل حصولهِ وبتغيُّر حال مرضهِ ويوم شفائهِ ولا يخفى ما في ذلك كلهِ من الغرابة وقد علل حضرة الدكتور كل ذلك تعليلاً طبيعياً لا يأباهُ العلم وان كان لضيق المقام لم يبسطهُ بسطاً كافياً وهذا التعليل هو قال:

اما تعليل هذه الامور وامثالها فربما لم يكن صعباً مثل ما كان يبدو لنا في الماضي وربما وجدنا لنا من مكتشفات العلم مرشداً يهدينا. فلا يخفى ان هذه الامور اما ماضية واما مستقبلة فالماضية اذا كانت معلومة فليس في ذكرها شيء من الصعوبة ولاسيما اذا عرف ان الذاكرة في اصحاب الهستيريا قوية جداً فان كان المريض قد ذكر وقائع حياتهِ قبل المرض فلأن هذه الوقائع معلومة لهُ في وجدانهِ الصحيح وان كان قد ذكر الوقائع التي جرت لهُ في حين المرض بكل تدقيق فلأنها جميعها ايضاً معلومة لهُ في وجدانهِ المريض فهي في كلا الأمرين معلومة لهُ وذكرها ليس الاَّ دليل على قوة الذاكرة وهذه كما قلنا قوية جداً في الهستيريا فليس في تعليلها ادنى صعوبة. وانما الصعوبة في تعليل معرفة الاشياء الواقعة المجهولة مثل معرفة الاوقات بالساعات والدقائق ومثل الشعور بامرٍ سيحدث. فاما معرفة الاوقات بالضبط بدون نظر الى الساعة فربما كان لنا في مكتشفات العلم الطبيعي ما يسهل علينا فهمهُ. فلا يخفى ان لكل تأثير لا بدَّ من عوامل ثلاثة فاعل يحدث هذا التأثير وناقل ينقلهُ وقابل يحسُّ بهِ والاَّ لم يتم التأثير فالناظر الى شيء انما يبصر هذا الشيء لان النور ينعكس عن صورتهِ ويقع بها على عصبهِ البصري فالشيء هو الفاعل والنور هو الناقل والعصب البصري او الدماغ هو القابل فاذا تعطل احد هذه العوامل لم يتم الابصار لضعف الفاعل في الاول كما لو كان عوضاً عن النور ظلمة ونقد الناقل في الثاني كما لو كان حاجزٌ يمنع نفوذ النور وتعطل القابل في الثالث كما في العمى او تعطل قوى الدماغ وما قيل عن البصر يقال ايضاً عن السمع وسائر حواس الانسان

وعليهِ فمن الممكن اذا امكن تقوية احد هذه العوامل ان يرى الانسان ويسمع اشياء لا يراها ولا يسمعها عادةً لضعف عواملها. والظاهر من الاختراعات التي اخترعها الانسان ان تقوية احد هذه العوامل ممكنة. فقد تمكن بواسطة الكهربائية ان ينقل الصوت من مكان الى مكان آخر بعيد بحيث صار يسمع غيرهُ يتكلم وهو بعيدٌ عنهُ محجوب بل ما يبدد صوتهُ ويمنعهُ عن الوصول اليوكما في المعروفة بالتلفون وفيما تذكر قد تمكن من نقل الصور بها ايضاً وذلك بتقوية الناقل مع بقاء الفاعل والناقل على حالهما لا يمكن الحصول على نفس النتيجة ايضاً ومعلوم ان الكهربائية مالئة الكون وانهُ لا يقف امامها حاجز وان كل شيء في هذا الكون لهُ اثر واثرهُ منقول بالكهربائية او بقوةٍ اخرى عالمية لا نعلمها الى جميع الجهات ومنطبع على صفحات هذا العالم واذا كنَّا لا نشعر بهِ دائماً فلانَّ حواسنا في

حالتها المعروفة ضعيفة عن ادراكه. ومعلوم كذلك ان في الامراض حالات يقوى بها تأثر العصب جدًّا فاذا كانت مثل هذه الامور الخارقة العادة تحصل احيانًا قريبًا تمت على موجب هذا التعليل فيرى حينئذٍ الانسان صور الاشخاص ويسمعهم يتكلمون ولو كانوا بعيدين عنه وعلى هذا التعليل يكون صاحبنا قد رأى الساعة وعرف لون البقرة ووجود الرجلين في البيت وسمع الكلام الخ

واما توقع الكدر فهو من الامور المشتركة بين الماضي والمستقبل فما كان منه كما قال في قوله "سأتكدر غدًا جدًّا" فهو جزمٌ في الامور ويعتبر انباء بأمرٍ حاصل لا توقعًا لامرٍ آتٍ حقيقةً واذا صحّ ان الوقت الذي انبأ فيه هو نفس الوقت الذي اجتمع فيه الرجل بصاحبه وقرّرا فيه ميعاد سفرها في الغد فيكون تعليله كتعليل رؤية الساعة وسماع كلام المتكلمين لتقوية "القابل" كما تقدّم. والاّ فان كان كما في قوله "ربما تكدّرت عند المساء" فهو توقّع حقيقي وربما كان تعليله صعبًا كتعليل قراءة الافكار اللهمّ الاّ ان تكون القوى القابلة (العصبية) متنبّهة تنبّهًا شديدًا بحيث تؤثّر فيها الحركات الكهربائية الناقلة المسبّبة عن اختلاج الافكار وعقد النوايا فيكون تعليلها ايضًا على نسق التعليل السابق. ولا يخفى ان توقّع شيء اعني تقدّم الشعور Pressentiment امرٌ كثيرٌ في البشر ولاسيما في النساء واصحاب المستيريا اعني في ذوي العصب المتنبّه وهو عبارة عن صوت مبهم في الانسان فربما كان ابهامه لضعف وصول التأثير اليه كسائر تأثّر الحواس كالبصر والسمع الخ بالمؤثرات اذا بلغتها ضعيفة فتشعر بها مبهمة. واعلم ان هذه التأثيرات الخارقة العادة مع ما فيها من الغرابة لا تأتي اعتباطًا بل هي واقعة تحت شرائط معلومة فكاشف الخبايا وقارئ الافكار لا يهتديان في كشفها وقراءتها ان لم يساعدها صاحب الحاجة العارف بمكانها وصاحب الفكر بتوجيه النيّة الى الحاجة المطلوبة في الاوّل والاستقرار على الفكر المقصود في الثاني واحيانًا بوصل الجسد بالجسد ايضًا كالنبض باليد على اليد وذلك لسهولة انتقال التأثير اليه. ويمكن ان تنحصر هذه الشرائط في امرين احدهما "تنبيه مساعد" كما في تنبيه اللبن الى معرفة البقرة في مسألة صاحبنا او "انتباه موجّه" اي استعداد في العصب لشدّة تأثّره من امر كأنّه متكيّف له لقبول تأثيره فيكفي في تنبيه هذا التأثير فيه اقل حركة من المؤثر كما في مسألة معرفة مجيء الرجل ووجوده في البيت فكأنّه يقتضي نسبة خصوصية بين الفاعل والقابل حتى يحس به ولذلك لم يكن ينبّه صاحبنا من بين المؤثرات الكثيرة المختلفة التي حوله الاّ بما له علاقة خصوصية به شديدة. وهذا ما يجعل هذه الحادثة وغيرها من الحوادث التي في ظاهرها غريبة تحت روابط خصوصية وسنن معلومة كالسنن الطبيعية

واما الانباء بمجيء الدم فتعليله اسهل من ذلك فلا يخفى انه كان في الاوّل يرى قبل مجيء

الدم بساعات شيئًا احمر فاما انهُ بقي يرى هذا الشيء الاحمر واما انهُ لكثرة تكرار النزف صار المجموع العصبي متألمًا للتغيُّرات التي تحصل فيهِ والتي تسبق الرعاف فصار يحس بها ويتنبَّأ بهِ . ولذلك لم يمكن حكمهُ فيهِ الاَّ لوقت قريب كاربع وعشرين ساعة او ثماني واربعين ساعة على الاكثر ولهذا اصاب فيهِ لغاية هذ الميعاد ولما اراد ان يخطَّاهُ أخطأ فرعف مرتين اكثر مما كان قد عيَّن كما تقدَّم . وحصول مثل ذلك كثيرًا بين الناس ايضًا فكثيرًا ما يعرف احدهم بانهُ سيعرض لهُ صداع مثلاً قبل عروضهِ بساعات من تأثر يشعر بهِ ولا يستطيع ان يعبِّر عنهُ . واما الانباء بتغيُّر حال مرضهِ وبوم شفائهِ فهذا سهل الفهم اليوم جدًّا وقد جرى على قواعد التعزيم او الاستهواء المعروف عند الافرنج بلفظة Suggestion فلا يخفى ان شركو وتلامذتهُ تمكَّنوا في هذه الايام من احياء التعزيم المستعمل منذ القديم في برء هذه العلل ولكن على وجهٍ علمي وقد تمكنوا بهِ من برء علل كثيرة عصبيَّة ومن التصرُّف باحوال اصحاب هذه الامراض كما يشاؤون فيقولون لهم مثلاً بعد ان ينوِّمهم النوم الهبنوتسمي "ينبغي ان تبقوا نيامًا ساعات كذا وان تاكلوا وانتم نيام دفعتين في وقت كذا ووقت كذا وان تهبُّوا من نومكم ولا تفكروا الاَّ كذا وكذا" وتتم كل ذلك فيهم فعلاً لانهم يصيرون تحت فعل الهبنوتسم آليين من الشمع . يحكى عن احد تلامذة شركو انهُ نوَّم امرأة هستيرية وكانت متزوجة وأمرها بان تتزوج فلان الشيخ وسمَّى لها راهبًا شيخًا جليلاً فلما استيقظت لم ترضَ الاَّ ان تتزوَّج بهذا الشيخ واعرضت عن زوجها حتى استغرب الناس صنيعها وخجل زوجها من جنونها الى ان عُلم اخيرًا انها مستهواة ولم تنصرف عن فكرها حتى صرفت عنهُ باستهواء آخر . ولا يخفى ما اخذت هذه المسألة من الاهمِّيَّة اليوم في الهيئة الاجتماعيَّة لانهُ علم ان الاستهواء قد يمكن ان يتم ايضًا عن بعد لذلك تغيَّر نظرهم في المسئولية الادبية لان المذنب قد يمكن ان يكون قد ارتكب ذنبهُ بقوَّة قاهرة فيهِ صادرة اليهِ من شخص آخر فلا يكون الذنب عليهِ حقيقةً بل على هذا الشخص . فانباء المريض بشفائهِ وتغيُّر احوال مرضهِ هو من هذا القبيل ايضًا لانهُ لما كان يتكلم عنها كان تحت سلطان شخص آخر يخاطبهُ معهُ دائمًا في نومهِ وكان هذا الشخص يأمرهُ كما دلَّ كلامهُ عليهِ وأوامرهُ عليهِ كانت مطاعة عندهُ كالاوامر التي يفعلها تلامذة شركو . الاَّ ان الاستهواء هنا لم يكن من شخص غريب كما في تلك بل كان من نفس المريض فانهُ حصل فيهِ ثنية في الوجدان من حيث حالاتهُ في الصحة والمرض واستهواء ذاتي : Dedoublement de la personnalité dans ses deux états de santé et de maladie et suggestion spontanée ou, comme je l'appellerais aussi, auto-suggestion.

انتهى

اصلاح خطأ . ان غرة الوجه التالي ينبغي ان تكون ٧٣١ بدلاً من ٧١٢ والذي وراءهُ ٧٣٢ وهكذا ليعد ثماني صفحات ومن ثمَّ يكون العدد صحيحًا